احصاراً، ولا يبلغه استقصاءً، وانما ذكرنا مثالاً ليعلم ان كلامه جامع لشروط البلاغة، ومعرب عن نهج الفصاحة، ولو مزج بغيره لتميز باسلوبه، ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله، ولبان صدقه من كذبه، هذا ولم يكن متعاطياً للبلاغة، ولا مخالطاً لاهلها من خطباء او شعراء او فصحاء، وانما هو من غرائز فطرته، وبداية جبلته، وما ذاك الا لغاية تراد وحادثة تشاد، فان قيل اذا كان كلامه مخالفاً لكلام غيره في البلاغة، والفصاحة حتى لم يكن فيه مساجلاً ايكون له معجزاً قيل له لو كان هكذا وتحدى به صار معجزاً، ولا يكون مع عدم التحدي معجزاً،

فصل

واما الوجه الرابع في فضائل افعاله فمختبر بثمان خصال احداهن حسن سيرته، وصحة سياسته، في دين انتقل شرعه حتى استقر، وتدبير احسن وضعه حتى استمر، نقل بها الامة عن مالوف، وصرفهم به عن معروف الى غير معروف، فاذعنت به النفوس طوعاً، وانقادت خوفاً وطمعاً، وتشديد عادة منتزعة، الا لمن كان مع التأييد الالهي معاناً بحزم صائب، وعزم ثاقب، ولئن كان مأموراً بالشرع فهي الحجة القاهرة ولئن كان مجتهداً فيها فهي الآية الباهرة، وحسبك بما استقرت قواعده على الابد، حتى انتقل عن سلف الى خلف، يزداد فيهم حلاوة ويشتد فيهم جدة، ويرونه نظاماً لاعصار تتقلب صروفها، ويختلف مالوفها، ان يكون لمن قام به برهاناً، ولمن ارتاب به بياناً.

لهر

فصل

والخصلة الثانية ان جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته، وقاموا بحقوق دعوته، رغباً في عاجل وآجل، ورهباً من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطباع في الاتفاق والذي لا ينتظم باحدهما ولا يستديم الا بهما، فلذلك صار الدين بهما مستقراً، والصلاح بهما مستمراً،

فصل

والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصارى في التشديد وعن تقصير اليهود في التقصير الى التوسط بينهما، وخير الامور اوساطها لان العدل بين طرفي سرف وتقصير، فليس لما جاوز العدل حظ من رشد، ولا نصيب من سداد، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فشر السير الحقحقة وان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى

فصل

والخصلة الرابعة انه لم يمل باصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود، ولا الى رفضها كما رهبت النصارى، وامرهم فيها بالاعتدال، ان يطلبوا منها قدر الكفاية، ويعدلوا عن احتجان واستزادة، وقال لاصحابه خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه، وهذا صحيح لان الانقطاع الى احدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)